نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٨٦١ — تهنئة بالسلام

عيون الأخبار : كتب رجل من الكتاب إلى (صديق له) قد أسلم يهنئه :

الحمد لله الذي أرشد أمرك ، وخص بالتوفيق عزمك ، وأوضح فضيلة عقلك : ورجاحة رأيك ، فما كانت الآداب التي حويتها ، والمعرفة التي أوتيتها لتدوم بك على غواية ودياثة شائنة لا تليق بلبك ، ولا يبرح ذوو الحجى من موجبي حقك ينكرون إبطاءك عن حظك ، وتركك الدار إلى الدين القيم الذي لا يقبل الله غيره ، ولا يثيب إلا به ، فقال : [ومن يبتغ غير الإسلام ديناً[1] فلن يقبل منه] وقال : [إن الدين عند الله الإسلام] ، والحمد لله الذي جعلك في سابق علمه ممن هداه لدينه ، وجعله من أهل ولايته ، وشرفه بولاء خليفته ، وهنأك الله نعمته ، وأعانك على شكره ، فقد أصبحت لنا أخاً ندين بمودته وموالاته ، بعد التأثم[2] من خلطتك ، ومخالفة الحق بمشايعتك ، فإن الله (عزوجل) يقول: [لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم[3]]

(١) العكبري : (دينا) تمييز ، ويجوز أن يكون مفعول يبتغ و (غير) صفة قدمت عليه فصارت حالا .

(٢) الأساس : تقول : فلان من الحياء يتأثم ، ومن اللئم يتأثم أي يتحرج .

(٣) الكشاف : (لا تجد قوماً) من باب التخييل ، خيل أن من المتنع المحال أن تجد قوماً مؤمنين يوالون المشركين ، والغرض به أنه لا ينبغي أن يكون ذلك ، وحقه أن يمتنع ، ولا يوجد بحال مبالغة في النهي عنه والزجر عن ملابسته والتوصية بالتصلب في مجانبة أعداء الله ومباعدتهم والاحتراس من مخالتهم ومعاشرتهم ، وزاد ذلك تأكيدا وتشديدا بقوله : (ولو كانوا آباءهم) ... وفيه في تفسير (أنه ليس من أهلك : أنه عمل غير صالح) : تعليل لانتفاء كونه من أهله ، وفيه إيذان بأن قرابة الدين قاصرة لقرابة النسب وأن نسيبك في دينك ومعتقدك من الأباعد في المنسب — وإن كان حبشيا وكنت قرشيا — لصيقك وحميمك ومن لم يكن على دينك — وإن كان أمس أقاربك رحما — فهو أبعد بعيد منك ...

١٥ - ٢٨

٨٦٢ — بالعدل قامت السموات والأرض

مفاتيح الغيب للرازي : العدل واجب الرعاية في جميع الأحوال ، ومن الكلمات المشهورة : (بالعدل قامت السموات والأرض) ومعناه أن مقادير العناصر لو لم تكن متعادلة متكافئة بل كان بعضها أزيد بحسب الكمية وبحسب الكيفية من الآخر لاستولى الغالب على المغلوب ، ووهى المغلوب ، وتنقلب الطبائع كلها إلى طبيعة الجرم الغالب . ولو كان بعد الشمس من الأرض أقل مما هو الآن لعظمت السخونة في هذا العالم واحترق كل ما هذا العالم ، ولو كان بعدها أزيد مما هو الآن لاستولى البرد والجمود على هذا العالم ، وكذا القول في مقادير حركات الكواكب ومراتب سرعتها وبطئها ، فان الواحد منها لو كان أزيد مما هو الآن أو كان أنقص مما هو الآن لاختلت مصالح هذا العالم . فظهر بهذا السبب الذي ذكرناه صدق قولهم : بالعدل قامت السموات والأرض[1] .

٨٦٣ — علمني وعلم صاحبيا

عمرو بن الإطنابة :

عللاني وعللا صاحبيـــا واسقياني من الروق ريّا
إن فينا القيان يعزفن بالدف (م) لفتياننا وعيشـــاً رخيا
يتبارين في النعيم ويصبين (م) خلال القرون مسكا ذكيا
إنما همهن أن يتحلين (م) سموطاً وسقبلا قارسيـــا
من سموط المرجان فصل بالشذر (م) فأحسن بحليهن حليا !

٨٦٤ — الغيبة

شرح النهج لابن أبي الحديد : إن الغيبة ليست مقصورة على اللسان فقط بل كل ما عرفت به صاحبك نقص أخيك فهو غيبة ، فقد يكون ذلك باللسان ، وقد يكون بالإشارة والإيماء وبالمحاكاة نحو أن يمشي خلف الأعرج متعارجاً ، وبالكتاب فان القلم أحد اللسانين . وأخبث أنواع الغيبة غيبة القراء[2] المرائين ،

(١) في شرح (النهج) لابن أبي الحديد : العدل سائس عام في جميع الأمور الدينية والدنيوية ، وبه نظام العالم وقوام الوجود .

(٢) الأساس : فلان قارىء وقراء — بفتح القاف — ناسك عابد ، وهو من القراء ، وقال جرير :
يا أيها القارىء المرخي عمامته هذا زمانك إني قد مضى زمني
وقد تقرأ فلان : تنسك .

وذلك نحو أن يذكر عندهم إنسان فيقول قائلهم : الحمد لله الذى لم يبلنا بدخول أبواب السلطان والتبذل فى طلب الحطام ، وقصده أن يفهم الغير[1] عيب ذلك الشخص فتخرج الغيبة فى مخرج الحمد والشكر لله تعالى . فيحصل من ذلك غيبة المسلم ، ويحصل منه الرياء وإظهار التعفف عن الغيبة وهو واقع فيها ، وكذلك يقول : لقد ساءنى ما يذكر به فلان نسأل الله أن يعصمه . ويكون كاذباً فى دعوى أنه ساءه وفى إظهار الدعاء له ، بل لو قصد الدعاء له لأخفاه فى خلوة عقب صلواته ، ولو كان قد ساءه لساءه أيضاً إظهار ما يكرهه ذلك الإنسان . واعلم أن الإصغاء إلى الغيبة على سبيل التعجب كالغيبة بل أشد لأنه إنما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب فى الغيبة فيندفع فيها ، وإذا كان السامع الساكت شريك المغتاب فما ظنك بالمجتهد فى حصول الغيبة[2] .

٨٦٥ — قليل الراح صديق الروح

خاص الخاص للثعالبى : حنين بن إسحاق المترجم اتفق له هذه اللفظة الوجيزة الشريفة البديعة التى لم أسمع للبلغاء مثلها فى الجمع بين التجنيس والطباق والترصيع مع حسن المعنى وجودته وصحته وهى قليل الراح صديق الروح ، وكثيره عدو الجسم .

٨٦٦ — أسد همذان

معجم البلدان : من عجائب همذان صورة أسد من حجر على باب المدينة منحوت من صخرة واحدة غير منفصلة عن قوائمه كأنه ليث غابة . وكان المكتفى يهم بحمله من باب همذان إلى بغداد ، وذلك أنه نظر إليه فاستحسنه ، وكتب إلى عامل البلد يأمره بذلك . فاجتمع وجوه أهل الناحية ، وقالوا : هذا طلسم لبلدنا من آفات كثيرة ، ولا يجوز نقله فتهلك البلد ، فكتب العامل بذلك ، وصعب حمله فى تلك العقاب والجبال ، وكان قد أمر بحمل الفيلة لنقله على العجلة ، فلما بلغه ذلك فترت همته فى نقله فبقى فى مكانه إلى الآن .

قال محمد بن أحمد السلمى المعروف بابن الحاجب يذكر الأسد على باب همذان :

ألا أيها الليث الطويل مقامه على نوب الأيام والحدثان
أقمت فما تنوى البراح بحيلة كأنك بواب على همذان
أطالب دخل أنت من عند أهلها ؟ أبن لى بحق واقنع ببيان
أراك على الأيام تزداد جدة كأنك منها آخذ بأمان
أقبلك كان الدهر أم كنت قبله فنعلم أم ربيتما بلبان
وهل أنتما ضدان ، كل تفردت به نسبة أم أنتما أخوان
بقيت فما تفنى وأفنيت عالماً سطا بهم موت بكل مكان
فلو كنت ذا نطق جلست محدثاً وحدثتنا عن أهل كل زمان
ولو كنت ذا روح تطالب ما كلا لأفنيت أكلا سائر الحيوان
أجئت شر الموت أم أنت منظر وإبليس حتى يبعث الثقلان
فلا هرماً تخشى ولا الموت تتقى بمضرب سيف أو شباة سنان !

٨٦٧ — تتنفس النفوس بقدر همتها

اللمحة البدرية فى الدولة النصرية للسان الدين بن الخطيب :

تذوكر يوماً بحضرته — يعنى محمد بن إسماعيل من ملوك بنى نصر فى الأندلس — معنى قول المتنبى :

أيا خدد الله ورد الخدود وقد قدود الحسان القدود

وقول امرئ القيس :

وإن تك قد ساءتك منى خليقة فسلى ثيابى من ثيابك تنسل

وقول إبراهيم بن سهل :

إنى له من دمى المسفوك معتذر أقول حملته من سفكه تعبا

فقال (رحمه الله) بديهاً — على حداثته — : بينهم ما بين نفس ملك عربى وشاعر عربى ، ونفس يهودى تحت الذمة ، وإنما تتنفس النفوس بقدر همتها .

صدر حديثاً : فى فلسطين :

كتاب

التطور الاجتماعى والاقتصادى فى فلسطين العربية

تأليف محمد يونس الحسينى

يبحث فى وصف بيت المقدس وفتح العرب للقدس وعهد دول الإسلام والشئون الاجتماعية وطرق المراسلات . الخ

الناشر : مكتبة الطاهر إخوان بيافا الثمن ٣٠٠ ملا

(١) دخول (ال) على (غير) فى كلام المولدين كثير .

(٢) لخصت هذه القطعة من فصل فى الغيبة فى شرح (النهج) وفيها جمل كثيرة من (الأحياء) لم يعزها الشارح إليه .